

أضواء البيان

@ 285 من زَّفَعَهُ لَبِئْسَ الْمَوَلَىٰ وَلَـٰئِبِئْسَ الْعَشِيرُ { وكرر يدعو كأنه قال : يدعو يدعو من دون ا ما لا يضره ، وما لا ينفعه . ثم قال لمن ضره بكونه معبوداً : أقرب من نفعه ، بكونه شفيعاً : لبئس المولى ، ولبئس العشيرة منه . . . ولا يخفى أن جواب الزمخشري هذا غير مقنع ، لأن المعبود من دون ا ، ليس فيه نفع ألبتة ، حتى يقال فيه : إن ضره أقرب من نفعه وقد بين أبو حيان عدم اتجاه جوابه المذكور . . . ومنها : ما أجاب به أبو حيان في البحر . . .

وحاصله : أن الآية الأولى في الذين يعبدون الأصنام ، فالأصنام . لا تنفع من عبدها ، ولا تضر من كفر بها : ولذا قال فيها : ما لا يضره وما لا ينفعه : والقرينة على أن المراد بذلك الأصنام ، هي التعبير بلفظة (ما) في قوله { مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ } لأن لفظة (ما) تأتي لما لا يعقل ، والأصنام لا تعقل . . .

أما الآية الأخرى فهي فيمن عبد بعض الطغاة المعبودين من دون ا ، كفرعون القائل { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي } ، { لَئِنْ اتَّخَذْتُ إِِلَـٰهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُوتِينَ } ، { أَزَا رَبُّكُمْ إِلَّا عِلَـٰلِي } فإن فرعون ونحوه من الطغاة المعبودين قد يغدقون نعم الدنيا على عابديهم : ولذا قال له القوم الذين كانوا سحرة { أَإِنِّ لَنَدَا لَجَرَاءٍ إِن كُنْتَ نَحْنُ الْغَالِبِينَ } قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمَنِ الضَّرُّ بُرِّينَ { فهذا النفع الدنيوي بالنسبة إلى ما سيلاقونه ، من العذاب ، والخلود في النار كلا شيء ، فضر هذا المعبود بخلود عابده في النار ، أقرب من نفعه . بعرض قليل زائل من حطام الدنيا ، والقرينة على أن المعبود في هذه الآية الأخيرة : بعض الطغاة الذين هم من جنس العقلاء : هي التعبير بمن التي تأتي لمن يعقل في قوله { يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ زَّفَعَهُ } هذا هو خلاصة جواب أبي حيان وله اتجاه ، وا تعالى أعلم . . .

واعلم أن اللام في { يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ زَّفَعَهُ } فيها إشكال معروف . وللعلماء عن ذلك أجوبة . . .

ذكر ابن جرير الطبري رحمه ا منها ثلاثة : .

أحدها : أن اللام متزحلقة عن محلها الأصلي ، وأن ذلك من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، والأصل : يدعو من لضره أقرب من نفعه ، وعلى هذا فمن الموصولة